٥٢- باب
قول: اللهم اغفر لي إن شئت

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لا مُكْرِهَ لَهُ**»(١). وَلِمُسْلِمٍ: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»(٢).

○○○

الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب حديثا واحدا.

والكلام على هذا الباب في الفصلين التاليين:

* * *

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٧٩) وهو إحدى روايات الحديث السابق.

الفصل الأول: مقصود الباب، وموضوعه العام

بيان أن مِن تحقيق التوحيد أن يُعظَّم الله ويُقْدَر حقَّ قدره، ومن ذلك: اعتقاد شمول علمِه، ومُلْكِه، وقدرته. ومما يَقْدح في هذا الاعتقاد: الاستثناء في الدعاء؛ فهو لا يتناسب مع مقام التعظيم لله - تعالى -.

فهذا الباب له ارتباط بالتوحيد من جهتين[1]:

الأولى: مِن جهة الربوبية: فإن مَن أتى بما يُشعِر بأن الله له مُكْرِه، لم يحقِّق تمام الإيمان بربوبيته - تعالى -؛ لأن مِن تمام ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا مُكرِه له، بل إنه لا يُسأل عما يفعل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وكذلك فيه انتقاص لحق الربوبية من جهة أخرى؛ لأنَّ هذه الجملة قد يُفهم منها أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتعاظم الأشياء التي يعطيها؛ فكان في ذلك قدح في جوده وكرمه - سبحانه -.

الثانية: من جهة العبد: فإنه يُشْعِر باستغنائه عن ربه، كأنه يقول: هذا الأمر ليس ضروريا، إن تحقق وإلا فلستُ حريصا عليه، وهذا نقص في توحيد الإنسان، وفيه سوء أدب مع الله - تعالى -؛ لأن الدعاء مبناه على التَّضرع والتَّذَلُّل، وتمام الافتقار، ولا يتناسب هذا مع قول العبد: «اللَّهم اغفر لي إن شئت»!.

* * *

(١) ينظر: «القول المفيد» (٣/ ٩٢).

الفصل الثاني: المباحث الموضوعية

تعليق الدعاء بالمشيئة يسمى: الاستثناء في الدعاء، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[القلم: ١٧-١٨]، أي: لم يقولوا: إن شاء الله.

المبحث الأول: حكم تعليق الدعاء بالمشيئة[١]:

أفاد الحديث النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة؛ لقوله ﷺ: «**لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ**...»، لكن اختلف العلماء في دلالة هذا النهي على قولين:

الأول: أنه مكروه: وهو رأي القاضي عياض[٢]، والنووي[٣]، وابن حجر[٤]، والعراقي[٥].

---

(١) ينظر: «الاستثناء في الدعاء: دراسة عقدية»، للدكتور عبد الرحمن التركي، بحث نُشر في مجلة جامعة الإمام، عدد ٢٤، رجب ١٤٣٣ ص٦٩.

(٢) ينظر: «إكمال المعلم» (٨/ ١٧٨).

(٣) ينظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٧).

(٤) ينظر: «فتح الباري» (١١/ ١٤٠).

(٥) ينظر: «طرح التثريب في شرح التقريب» (٣/ ١١٧).

الثاني: أنه محرم: وهو قول ابن عبد البر[١]، والقرافي[٢]، وابن القيم[٣]، وغالب شراح كتاب التوحيد، ومنهم: الشيخ ابن عثيمين[٤]. وهو أرجح للنهي الصريح، والأصل في النهي أنه يفيد التحريم، ولِلْعِلل المُضمَّنة فيه، كما سيأتي.

○○○

المبحث الثاني: علة النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة[٥]:

المحظور في هذا التعليق من وجوه:

الأول: أنه يُشعِر بأن الله له مُكرِهٌ على الشيء، وأن وراءه من يستطيع أن يمنَعه! فكأن الداعي بهذه الكيفية يقول: أنا لا أكرهك، إن شئت فاغفر، وإن شئت فلا تغفر.

---

(١) «التمهيد» (١٩/ ٤٩).

(٢) ينظر: «الفروق» (٤/ ٢٨٥).

(٣) «إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان» (١/ ١٩).

(٤) «القول المفيد» (٢/ ٣٣١).

(٥) غالبه من «القول المفيد» (٢/ ٣٣١) بتصرف وزيادة، وانظره موسعا في بحث «الاستثناء في الدعاء» ص٥٤ – ٦٨.

الثاني: أن قول القائل: «إنْ شِئْتَ»، كأنه يرى أن هذا أمر عظيم على الله، فقد لا يشاؤه لكونه عظيما عنده، ونظير ذلك أن تقول لشخص من الناس - والمثال للصورة بالصورة لا للحقيقة بالحقيقة -: أعطني مليون ريال، إن شئت.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**[1]. **وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**»[2].

الثالث: أنه يُشعِر بأن الطالب مُسْتَغْنٍ عن الله، كأنه يقول: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل فأنا لا يهمني، ولست حريصا عليه. وهذا مناف لحقيقة العبودية.

الرابع: أن هذا القول عبَث لا معنى له؛ لأنه أمر معلوم متيقَّن، فالله - تعالى - لا يغفر ولا يرحم إلا لمن يشاء.

الخامس: أن هذا يدل على فتور الرغبة، وضعف الاهتمام والحرص على الشيء المسؤول.

---

(١) جاء في «النهاية» (٢/ ٣٤٥) في معنى قوله: «**سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، أي: دائمة الصَّبِّ والهطْل بالعطاء.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٦٨٤) وفي مواضع أخرى، واللفظ له، ومسلم (٩٩٣).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء»[1].

فيكون هذا من الاعتداء في الدعاء؛ لأن الاعتداء تجاوز الحد.

فهذه العلل الخمس تُقَوِّي المنع، وأن هذا لا يناسب مقام الموحدين الذين امتلأت قلوبهم بحقيقة التوحيد.

تنبيه:

قد يقول بعض الناس هذه الكلمة تبرُّكا لا تعليقا، فلا يأخذُ هذا الحكم، لعدم تحقق العلل السابقة، لكن مع ذلك ينبغي ترك هذه العبارة؛ تأدُّبا مع النهي في الحديث، وسدًّا للذريعة المفضية إلى الوقوع في المحذور.

○○○

المبحث الثالث: إشكالات وجوابها:

الأول: الجواب عما ورد في حديث الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -**

(١) «المفهم» (٩/ ٤٦٤).

فَاقْدُرْهُ لِي...»[1]، وما ورد في الحديث الآخر: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»[1].

الجواب: أن الداعي لم يعلِّق دعاءه بالمشيئة، فلم يقل: «فاقدره لي إن شئت»، بل جزم في الدعاء، لكنه اشتبه عليه أي الأمرين خير، ففَوَّض أمره إلى الله لكمال علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الثاني: الجواب عن الدعاء للمريض: «**لا بَأْسَ، طَهُورٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»[2].

الجواب: أن هذا خبر لا دعاء، فهذا من باب الخبر والتفاؤل أن يكون هذا المرض طهورا لصاحبه. وهذا كقوله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ**﴾ [الفتح: ٢٧]، وقوله - سبحانه -: ﴿**ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ**﴾ [يوسف: ٩٩]. وقيل: هو للتبرك.

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣٨٢) وفي مواضع أخرى، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦١٦) ومواضع أخرى، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٥٦- باب

ما جاء في الـ«لو»

وَقَوْلِ اللهِ - تَعَالَى -: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآيَةَ.

وَقَولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨] الآيَةَ.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(١).

○○○

الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب آيتين وحديثا واحدا.

والكلام على هذا الباب في الفصلين التاليين:

* * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٦٤).

الفصل الأول: مقصود الباب، وموضوعه العام

أن من تمام التوحيد وتحقيقه: أن يطمئن العبدُ، ويرضى بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رَبًّا خالقا مُدَبِّرا، وأن ما كان وما يكون فهو بقدر الله وقضائه السابق النافذ، والاعتراض على شيء من ذلك بـ«لو»، يُخِلُّ بهذا الجانب. فكلما قوي تحقيق التوحيد في القلب قويت الطمأنينة والرضا في القلب.

ولهذا تجد أشْرَحَ الناس صَدْرا وأطيبَهم عَيْشا، من كان محقِّقا للتوحيد. قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام: ١٢٥].

* * *

الفصل الثاني: المباحث الموضوعية

حكم استعمال «لو»:

جاء استعمال «لو» في كتاب الله - تعالى -، وعلى لسان رسول الله ﷺ، وجاء النهي عنها في حديث الباب، فكان لا بُد من معرفة مواضع جوازها، ومواضع منعها، ومن تبويبات الإمام البخاري في صحيحه: «باب ما يجوز من الـ «لو»، وقوله تعالى:﴿**لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً**﴾ [هود: ٨٠]».

وتلخيص ذلك أن يُقال: إن استعمال «لو» يرد على وجوه[١]:

الوجه الأول: أن يكون المراد بها مجرَّدَ الخبر:

مثل أن يقول الإنسان لشخص: «لو زرتني لأكرمتك».

وحكم هذا الوجه: لا بأس به. ومنه قوله ﷺ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ، وَلَحَلَلْتُ مَعَ النَّاسِ حِينَ حَلُّوا**»[٢]، فأخبر النبي ﷺ أنه لو علم أن هذا الأمر سيكون من الصحابة ما ساق الهدي ولحَلَّ.

الوجه الثاني: أن يقصد بها التمني:

---

(١) ينظر: «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ١٢٧) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٢٩)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

مثل أن يقول الإنسان: «لو أنَّ عندي كذا لفعلتُ كذا وكذا».

وحكم هذا الوجه: يختلف بحسب ما تمناه؛ فإن تمنى بها خيرا فهو مأجور بنيته، وإن تمنى بها سوى ذلك فهو بحسبه.

ومنه ما جاء في حديث أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[1].

الوجه الثالث: أن يُراد بها التحسر والندم على ما مضى:

وحكمُ هذا الوجه: أنَّه منهي عنه، وهو نوع اعتراض على قدَر الله، وفتح باب للأحزان، ومدخل للشيطان على العبد. وهذا الوجه هو المقصود في

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٥) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وصححه الألباني.

الحديث بقوله ﷺ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[1].

وهذا التحسر له صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون اعتراضا على الشرع:

وهذا محرم، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾، وكقول بعض الكسالى: لو كانت صلاة الجماعة غير واجبة لارتحنا كالنساء.

الصورة الثاني: أن يكون اعتراضا على القدر:

وهذا محرم أيضا، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا**﴾[آل عمران: ١٥٦]، وكقول بعضهم: لو أني لم أشترِ تلك السلعة لما خسرت مالي.

* * *

(١) تقدم تخريجه.

٥٧- باب
النهي عن سب الريح

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»[1]. صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

○○○

الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب حديثا واحدا.

والكلام على هذا الباب في الفصلين التاليين:

* * *

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٢٥٢)، وأحمد (٢١١٣٨) وصححه الألباني.

الفصل الأول: مقصود الباب، وموضوعه العام

الريح مخلوقة مُدَبَّرة من الله - تعالى -، يصرِّفها كيف يشاء، تؤمر فتأتمر، فسبُّها سبٌّ لربها ومُدَبِّرِها، وهذا لا يليق بمَن وحَّد الله وعظَّمَه. وهذا قريب مما سبق في سب الدهر.

* * *

الفصل الثاني: المباحث الموضوعية

المبحث الأول: الرياح آية من آيات الله وخلق من مخلوقاته:

الرياح من أعظم آيات الله الدالةِ على عظمته وربوبيته وقدرته، وفيها من العبر: هبوبُها، وسكونها، ولِينها، وشِدَّتها، واختلاف طبائعها، وصفاتها، ومهابها، وتصريفها، وتنوع منافعها، وشدة الحاجة إليها. وقد أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها في قوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذاريات: ١]، فالذاريات هي الرياح تذرو التراب، أي: تسفيه، وتذرو النبات إذا تهشم.

وأقسم بها - أيضا - في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾ [المرسلات: ١-٣]، فالمرسلات هي الرياح يُرْسِلها الله بُشْرًا بين يدَيْ رحمته. والعاصفات هي: الرياح الشديدة، وكذا الناشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب - عز وجل -.

فقد أقسم الله بها في كتابه في أكثر من موضع، وقسم الله بالشيء يدل على عظمته.

وكما أن الرياح جندٌ من جنود الله يسلطها على من يشاء، فإنها - أيضا - خلق من خلق الله يسخرها لمن يشاء من عباده، قال تبارك وتعالى ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾[الأنبياء:٨١]،

وقال سبحانه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[ص: ٣٦]، رخاء أي لينة طائعة.

وقال جل وعلا: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، أي: أن الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، فهي تقطع في اليوم الواحد مسيرة شهرين، وهذا تسخير عظيم.

○○○

المبحث الثاني: منافع الرياح:

خلق الله هذه الرياح وسخَّرها لعِباده وجعل لهم فيها منافع ومصالح قلَّ أن نتفكر فيها؛ ومنها:

أولا: أنها التي تثير السحاب المحمَّل بالماء فتنشره وتجعله قطعا متفرقة، ينزل منها المطر فيفرح الناس بذلك، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[الروم: ٤٨].

ثانيا: أنها تُسَيِّر السُّفُن، ولولاها لوقفت على ظهر البحر، وهذا في المراكب الشراعية قبل اختراع المراكب البخارية. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٣٢ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٢-٣٤].

ثالثا: أنها تلقِّح السحاب والشجر والنبات، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]، قال ابن كثير: «تلقح السحاب فتُدِر ماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها»(١).

رابعا: أنها تنظف الأرض وتعقِّم الجو، ولولا تسخيرُ الله هذه الرياح لعباده لذوى النبات، ومات الحيوان، وفسدت المطاعم، وأنتن العالم وفسد. فسبحان من جعل هبوب الرياح تأتي برَوْحه ورحمته ولطفه ونعمته.

خامسا: أنها تبرِّد الماء، وتضرم النار التي يراد إضرامها، وتجفف الأشياء التي يحتاج إلى جفافها، وغير ذلك مما لا نعلمه.

ooo

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٥).

المبحث الثالث: الرياح من جند الله ترسَل بالعذاب والرحمة:

نقل ابن كثير في تفسيره عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «الرياح ثمانية: أربعة منها رحمة، وأربعة منها عذاب: فأما الرحمة: فالناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات.

وأما العذاب: فالعقيم، والصرصر - وهما في البر -، والعاصف، والقاصف، وهما في البحر»(١).

ولمَّا عتا قوم عاد، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[فصلت: ١٥]، أرسل الله عليهم الريح العقيم، قال جل وعلا: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[الذاريات: ٤٢]. قال البغوي: «هي التي لا خير فيها ولا بركة، ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا، ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم وأموالهم ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾، أي: كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبس ودِيْس»(٢).

ووصفها - تعالى - في آية أخرى، فقال: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، والصرصر هي: الريح الباردة، والعاتية: شديدة الهبوب،

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٠).

(٢) تفسير البغوي (٧/ ٣٧٨).

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ متتابعة، لا تَفْتُر ولا تنقطع حتى أهلكتهم، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

والرياح تأتي مبشرات بالغيث والرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

والرياح أيضا جند من جنود الله ينصر بها من يشاء من عباده المؤمنين، كما حصل في غزوة الخندق. قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

قال مجاهد: «يعني ريح الصَّبَا؛ أُرْسِلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فَساطِيْطَهُم - خيامهم - حتى أظْعَنَتْهم»(١).

وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**»(٢). والصَّبا: هي الريح الشرقية، والدَّبور: هي الريح الغربية.

---

(١) تفسير مجاهد ص ٥٤٨.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٠٣٥) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٩٠٠).

فالريح طيبة نافعة وعاصفة ضارة. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[يونس: ٢٢]، وضرب الله مثلا لأعمال الكفار وضياعِها وعدم نفعها أو إغنائها عنهم يوم القيامة، بأثر الريح العاصفة الشديدة في الرماد، فقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾[إبرهيم: ١٨].

○○○

المبحث الرابع: المشروع والممنوع عند هبوب الرياح:

أولا: تحقيق التوحيد:

فهذه الرياح مظهر من مظاهر قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي لا حد لها؛ فمن أسمائه - سبحانه - «القدير»، أي: المتصف بالقدرة المطلقة - جل وعلا -، وهبوب الرياح فرصة لتجديد توحيد الربوبية في القلب وأنه - سبحانه - المُدَبِّر لهذا الكون بما يشاء، المتصرف فيه بما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيا: الخوف من العذاب:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «**إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي**»(١).

وقد قال الله – تعالى – عن قوم عاد، عندما أرسل عليهم الريح: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الأحقاف: ٢٤].

وعن أبي حُميد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انْطَلَقْنا حَتَّى قَدِمْنا تَبُوكَ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ**»، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ»(٢).

ثالثا: الإتيان بالذكر الوارد:

كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح، قال: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٨٢٩)، ومسلم (٨٩٩) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٩٩)، من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

إن من الناس من يتذمَّر عندما يرى الريح والغبار، وربما تطاول فسبَّها وشتمها، وقد نهى عن ذلك رسولُ الله ﷺ؛ حيث قال: «**لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»(١).

وقال ﷺ «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا**»(٢).

والسَّبُّ: هو الشتم، والعيب، والقدح، واللعن، ونحو ذلك.

ومما ينبغي التنبيه عليه قول بعض الناس: «اللّٰهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللّٰهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»(٣). وهذا وارد في حديث ضعيف جدا، والمشروع ما سبق بيانه.

رابعا: نسبة الظواهر الكونية إلى الطبيعة:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابو داود (٥٠٩٧)، وابن ماجه (٣٧٢٧) واللفظ له، وأحمد (٧٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٣) **ضعيف جدا**: أخرجه الشافعي كما في مسنده (٥٠٢)، وأبو يعلى في المسند (٢٤٥٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الألباني في «الضعيفة» (٤٢١٧): «ضعيف جدا».

ينبغي الحذر من نسبة هذه الظواهر إلى الطبيعة كما يقول بعضهم: «غضب الطبيعة»، ويقول آخرون: «هذه ظواهر طبيعية، لها أسباب معروفة، لا علاقة لها بأفعال الناس ومعاصيهم». كما يجرى ذلك على ألسنة بعض الصحفيين، وفي بعض النشرات الجوية. حتى صار الناس لا يخافون عند حدوثها، ولا يعتبرون بها.

فهذه الآيات لها أسباب كونية وأسباب شرعية، والكل بأمر الله، فعلى المسلم أن يعلِّق قلبَه بمُسبب الأسباب ومدبر الأمور، فهو الذي يرسل الرياح ويُصَرِّفها كيف يشاء، وهي خلق من خلقه لا تخرج عن أمره.

فالله - عزَّ وجلَّ - يُحدث هذه الآيات - كالأعاصير، والكسوف، والبراكين، والزلازل - بسبب معاصي الناس وإعراضهم وانحرافهم، ويجعل لهذه الأشياء أسبابًا كونية حسية.

خامسا: الأخذ بأسباب الوقاية الحسية:

فلا بأس بأخذ وسائل الوقاية التي تقي الإنسان من أضرار الرياح، لا سيما إن كانت محملة بالأتربة والغبار، ومن ذلك:

١- استخدام الأقنعة الواقية التي تحمي الجسم من الغبار الضار، لا سيما من كان يعاني من أمراض أو حساسية في الصدر أو العين.

٢- غلق النوافذ والأبواب في المنازل بإحكام، وتنظيفها من آثار الغبار بعد العواصف الرملية.

٣- البعد عن قيادة السيارة حينما يقل مستوى الرؤية، وأخذ الحيطة والحذر إذا كان محتاجا لذلك.

* * *